المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:03 (2024)، ص414-423

مجازر 8 ماي 1945 بالجزائر من خلال صحافة الجنرال فرانكو في إسبانيا

Massacres 8 May 1945 in Algeria through General Franco's press in Spain

عبد الناصر عمر
جامعة قالمة (الجزائر)
omar.abdelnasser@univ-guelma.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/11/12
تاريخ القبول:
2024/12/07

الكلمات المفتاحية:
- ✓ مجازر ماي 1945
- ✓ الجزائر
- ✓ صحافة إسبانية الفرانكوية
- ✓ الاستعمار الفرنسي

الملخص:

عرفت مجازر 8 ماي 1945 اهتمام الصحافة العالمية بها، بعدما بدأت بعض الصحف الفرنسية، وعلى رأسها صحيفة لومانيتي في نشر الأخبار حول ما ارتكبته السلطات الاستعمارية الفرنسية من أعمال إجرامية في حق الجزائريين في اليوم الذي تحتفل فيه عواصم الحلفاء بنهاية الحرب العالمية الثانية. في البداية اعتمدت صحافة اسبانيا الفرانكوية التي تخضع لرقابة النظام الجنرال، في تغطيتها للمجازر حول ما تداولته وسائل الاعلام الفرنسية، لكن حينما بدأت الأصوات ترتفع وتندد بفظاعة الاجرام الفرنسي في مقاطعة قسنطينة خاصة، أرسلت وكالة الاعلام الإسبانية (ايفي) مراسلا لها إلى الجزائر من أجل الوقوف على حقيقة ما وقع في الجزائر. تحكمت في تلك التغطية عوامل عدة، جعلت الصحافة الاسبانية تحدد أسباب المجازر، وفضحت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر.

Article info

Received:
12/11/2024
Accepted:
07/12/2024

Key words:
- ✓ massacres of 8 May 1945
- ✓ Algeria
- ✓ Spanish press
- ✓ French colonial

Abstract:

The massacres of 8 May 1945 in Algeria were not long in making a lot of ink flow on the international scene. The newspaper l'Humanité was the first in Paris to reveal the atrocities committed in the region by the French colonial authorities against unarmed and defenseless Algerians on the day when allied capitals celebrated the end of World War II. At first, the Spanish press controlled by General Franco, "**caudillo**" of Franco's Spain, covered the massacres relying on the French media, but when the voices began to rise on French crime in the province of Constantine, The Spanish news agency, Efe, sent a journalist to Algeria to find out the truth about what happened in Algeria.

مجازر 8 ماي 1945 بالجزائر من خلال صحافة الجنرال فرانكو في إسبانيا

مقدمة

الثامن من شهر ماي 1945 تميز بالازدواجية في رمزيته التاريخية بين الجزائر وفرنسا الاستعمارية، فقد كان يوم نصر وسلام ومحبة وفرحة للفرنسيين، وفي المقابل كان يوم عنف وحزن ومأساة بالنسبة للجزائريين الذين خرجوا مطالبين سلطات الاحتلال بالحرية والاستقلال، فتفاعلت مختلف الصحف العالمية بتلك الأحداث رغم التعتيم الاعلامي الذي مارسته السلطات الفرنسية حول المجازر التي ارتكبتها في حق أبرياء خرجوا في مسيرات سلمية معبرين عن فرحتهم بنهاية الحرب، وكذا مطالبة فرنسا بالحق في التحرر، فكان الاعلام في أوج نشاطه لتغطية مستجدات نهاية الحرب العالمية الثانية، أما في الجزائر فقد اهتم الاعلام بفرحة المستوطنين، ومُرس التعتيم على المجازر المرتكبة في حق الجزائريين في البداية، قبل أن يصبح هذا الموضوع الأخير من اهتمامات الصحافة العالمية بما فيها الصحافة الاسبانية.

كانت العلاقات الفرنسية الإسبانية متوترة منذ 1939، وازدادت سوءا بموقف الجنرال فرانكو (Bennassar, 2002)[1] من فرنسا المنهزمة أمام الألمان، والداعمة لمعارضيه اللاجئين ما وراء الحدود البيرينية، فاشتعلت الحرب الإعلامية بين فرنسا واسبانيا، الأمر الذي يجعلنا نطرح الإشكالية التالية بخصوص تعامل الصحافة الاسبانية مع مجازر 8 ماي 1945 في الجزائر، **فهل خضعت عملية تغطية وتحليل أسباب المجازر إلى مجمل السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر أم أنها خضعت لواقع العلاقات المضطربة بين مدريد وباريس؟**

إنّ دراستنا تنطلق من مقاربة أساسها البحث في وجهة نظر الاسبان إلى مجازر ماي 1945 بالجزائر من خلال الصحافة في فترة حكم الجنرال فرانكو، اعتبارا لخضوع وسائل الاعلام في زمن الدكتاتورية الفرانكوية لمراقبة وتوجيه شديدين، وعليه، فالصحف في اسبانيا تعبر عن الموقف الرسمي والشعبي في معاداتها لنظام باريس.

كما يهدف هذا البحث إلى ابراز دور الصحافة الاسبانية في التعريف بحقيقة مجازر 8 ماي 1945 في الجزائر في المجتمع الاسباني، وكشف تلك الفظائع والقمع الشديد مع تحديد أسباب ذلك، وإبراز ما مارسه الفرنسيون من ظلم في حق الشعب الجزائري، وإعطاء صورة واضحة عن تلك الجرائم، ولمعرفة خلفيات وأبعاد ذلك، لابد من ابراز واقع الصحافة في اسبانيا خلال مرحلة الفرانكوية (El Franquismo)[2] (Gallego, 1991, pág. 356).

1. واقع الصحافة على عهد حكم الجنرال فرانكو

إن الصحافة أداة لدراسة الحادثة التاريخية المعاصرة وذلك لأنها تبرز الكثير من نقاط اللبس والغموض التي قد لا تعلنها المؤسسات السياسية للبلاد بصفة رسمية، هذه الأخيرة تجعل من الإعلام سبيلا لنشر أفكارها وسياستها اتجاه قضية ما، يكون ذلك في شكل نشريات رسمية حاملة للقرارات والمراسيم الحكومية وغيرها من النصوص التي تبرز اتجاه وسياسة الدولة، أو في شكل رسائل مشفرة أو اشاعات غرضها استقراء الرأي العام الوطني والدولي من مؤيد ومعارض، هذا الأمر ينطبق على حال الاعلام الاسباني في عهد النظام الفرانكوي الذي لم يكن سلطة رابعة إنما أداة في خدمة الحكومة، لأن سلطة الجنراليسيمو[3] فرضت الرقابة على وسائل الاعلام

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالقانون وبوسائل أخرى منذ صدور قانون الصحافة يوم 22 أفريل 1938، حيث استنبط سيرانو سونيير[4] (Ramon Serrano Suñer) (Arnaud, 1985, pp. 781-783) نصوص مواده الثلاثة والعشرين من قانوني الصحافة الايطالية والألمانية تحت حكمي موسوليني وهتلر على التوالي، وقد جعل هذا القانون من الصحافة الإسبانية "**جهاز في خدمة الدولة والصحفيين مجرد أعوانها، في الوقت الذي أقرت المادة الأولى منه واجب الدولة تنظيم ورصد ومراقبة الصحافة الوطنية الدورية**" (Boletin Oficial de Estado, 1938, págs. 6938-6940). أما الموظفون ملزمون بتسجيل أنفسهم في السجل الرسمي للصحفيين (ROP- El Registro Oficial de Periodistas) وكانوا يخضعون لعمليات تطهير واسعة (Garrido, 1989, págs. 36-66).

لذلك اعتبرنا، كل ما ينشر في الصحف الاسبانية سواء كانت وطنية أو محلية، قد يعبر لا محالة عن رأي النظام القائم في مدريد والمجموعات الفاعلة فيه، اعتبارا بالقانون الذي يسيرها، والذي جعل من "**الصحافة أول دعامة للدولة، الجهاز الحاسم في تكوين الثقافة الشعبية، وبصفة خاصة في بلورة الرأي العام ولا يمكن تصور استمرار حياة الدوريات على هامش من الدولة.**" إذنّ الدولة رأت في أمر مراجعة أحد "**المبادئ القديمة**" المتمثلة في الصحافة مسألة مستعجلة، وعليه ورد في قانون الصحافة الجديد المعدل من طرف الفرانكويين، أنّه: "**... من المستحيل أن تستمر سوق الأخبار السهلة الباحثة عن الشهرة والتي حولت الرأي العام من خلال حملات مغرضة لتحقيق أهداف غير معلنة...لذلك فكرنا في إحياء هدف خدمة الصحافة للدولة وكذلك إعادة الشرف المادي الذي يستحقه الجهد المبذول للذين يسترزقون من هذه المهنة، بهما نبني بذلك دعامة الإيمان والفكر الوطني اللذان يشكلان الغاية من هذا العرض**" (Boletin Oficial de Estado, 1938, pág. 6938).

2. مجازر 8 ماي 1945 في الصحافة الإسبانية

لقد أشارت جميع الصحف التي أطلعنا عليها، إلى مجريات أفعال الرعب العسكري الذي عاشه الجزائريون لمدة شهر كامل ابتداء من 1 ماي 1945 وبصفة خاصة في اليوم الثامن من الشهر نفسه بمدن سطيف، قالمة وخراطة، ثم تتبعت الصحافة الاسبانية ما انجر عن تلك المجازر من تفاعل وتأثير الذاكرة على المستويين السياسي والتاريخي في الجزائر وفرنسا وحتى على الساحة الدولية.

صدر في الصحف الاسبانية بصفة شبه شاملة أول نبأ عن الأحداث يوم 13 ماي، وذلك حسب ما ورد عن مراسل وكالة إيفي (EFE)[(5)] (Garrido, 1989, p. 52) من باريس، ويعود هذا التأخر في انتشار الخبر حول ما يجري في الجزائر إلى الحصار الذي فرضته السلطات الاستعمارية وغلاتها وحجبهم للعمل الإجرامي الممارس في سطيف وقالمة وخراطة وغيرها من المناطق، أثناء مواجهة آلة الحرب الفرنسية للمظاهرات السلمية التي قام بها الجزائريون، حيث وصف البلاغ الاستعماري الصادر عن الحكومة العامة الفرنسية في الجزائر يوم 10 ماي، تلك المسيرات المطالبة بحقوق الجزائريين في السيادة والتحرر، "**بالأعمال الهتلرية**"، لأن عنوان بلاغ الحاكم العام جاءت صياغته كالآتي: "**في سطيف، عملية فاشستية يوم عيد النصر**"، أما مضمون تلك النشرية

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الاستعمارية التي لفقت التهم للجزائريين من أجل إخفاء جرائمها فقد ارتبط بالأضاليل التي اعتادت ترويجها السلطات الاستعمارية (Ruscio, 2007). ذلك البلاغ نشرته في باريس صحيفة لومانيتي (2017) (L'Humanité)[6] الشيوعية يوم 11 ماي 1945 دون أن تضيف إليه أدنى تعليق، وفي يوم غد 12 ماي، أوردت نفس الصحيفة في طياتها مقالا تحت عنوان "**بعد أحداث سطيف، إلى أين سنذهب بالجزائر**" (Ruscio, 2007, p. 222).

أول خبر نشر في إسبانيا عن أحداث 8 ماي بالجزائر كان مصدره الرئيسي وكالة إيفي، حيث ورد في جريدة أ ب ث (ABC) في شكل نص صغير، لأنّ وكالة الأخبار الإسبانية لم تأخذ بما روّجته لومانيتي، وذلك نظرا لموقف الجنرال فرانكو ونظامه الشديد العداء للشيوعية، فحمل نص الخبر المغالطات التي نشرتها الحكومة العامة الفرنسية في الجزائر عما وقع في مدينة سطيف قبل بضعة أيام، لأنّ الصحفي أكد في إرساله استمرار "**الاضطرابات**" التي وقعت حديثا بمقاطعة قسنطينة، مؤكدا كذلك على أنّ: "**العصابات الجزائرية المسلحة يقودها عناصر ينتمون إلى حركة أحباب البيان والحرية التي يقودها فرحات عباس**". ثم فصّل في أسباب تسمية هذه المنظمة السياسية التي عرفتها الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية (13 de mayo de 1945, pág. 7)، ومما جاء في الصحيفة: "**هذه الأحداث تمثل الذروة للعديد من الاضطرابات التي عرفتها مؤخرا مقاطعة قسنطينة التي تنتمي إليها منطقة سطيف، وقد أثار تلك الاضطرابات عناصر من البيان. إنّ سبب هذه التسمية يعود إلى بيان 1943، وهم مجموعة يقودها فرحات عباس وتطالب باستقلال الجزائر، ما جعل الحاكم العام الفرنسي في الجزائر، يأمر بتوقيف فرحات عباس**" (13 de mayo de 1945) .

الخبر الذي نقلته صحيفة "**أ ب ث**" الاسبانية كان واضحا في محتواه وهو منقول عن وسائل الإعلام الفرنسية في باريس، إذ حمل عبارات لم تفصل شيئا في سير المجازر بعد خمسة أيام من بدايتها، بل مجرد دعاية روّجها عن الأحداث الحاكم العام الفرنسي ووسائل الإعلام الاستعماري الذين فرضوا تعتيما إعلاميا حول تلك المجازر ولم يفش الواقع الإجرامي الذي فرض على الجزائريين منذ أول ماي 1945، إذ يقول المؤرخ الفرنسي، ألان روسيو، في هذا الشأن: "**فالحكومة العامة حمّلت المسلمين كل المسؤولية في الاضطرابات التي وقعت، وهذا طرح سخيف ومرفوض**" حسب ما نقله عن الصحيفة الشيوعية(Ruscio, 2007) .

كان وصف الأحداث في صحيفة أ ب ث مقتضبا ومرتبطا بشكل النص القصير المعبّر عن تلك الجرائم، والذي جاء تحت عنوان "**عصابات مسلحة من العرب تقتحم مدينة سطيف وتخلف العديد من القتلى**". ثم أضاف هذا النص المجزأ إلى أربع فقرات، بأنّ هؤلاء المسلحين استهدفوا المعمرين الأوروبيين واليهود القاطنين في المدينة، كما أشار إلى أسباب الأحداث والمسؤولين عنها مثلما أبرزناه أعلاه، وأخيرا خلُصَ الخبر إلى تأكيد التعتيم والتضليل اللذان سوقتهما أجهزة الدعاية الفرنسية في قولها أنّ: "**حزب البيان يتمتع بدعم مالي هام! وأنّ أحباب البيان، أمامهم جميع التجمعات السياسية الأخرى في البلد سواء كانت أهلية أو فرنسية**" (13 de mayo de 1945).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

3.الصحافة الفرانكوية وتطور الأحداث

بمرور بضعة أيام عن بداية المظاهرات وما تبعها من قمع وحشي من طرف السلطات الفرنسية، انتشرت أخبارها ووقائعها في فرنسا خاصة، وذلك بناء على ما نشرته صحف الحزب الشيوعي الفرنسي وعلى رأسها جريدة لومانيتي (L'Humanité) حول ما يجري في الجزائر من اجرام وأعمال عنف (Ruscio, 2007, pp. 222-229)، الأمر الذي جعل الإعلام الاسباني يسعى للتعرف عن قرب على حقيقة ما يجري في الجزائر، إذ أوفدت وكالة إيفي مراسلا لها إلى الجزائر، ونفس الأمر اهتمت به جريدة أ ب ث التي أوفدت مبعوثا لها إلى باريس حيثما أعطى للموضوع أهميته.

في 23 ماي 1945 نشرت صحيفة أ ب ث مقال لها عن الأحداث التي عرفتها الجزائر، لكن بنظرة جديدة مخالفة تماما لما جاء في نسختها قبل عشرة أيام، فوكالة إيفي أسرعت صحفيا لها إلى مدينة الجزائر، من حيث كان يرسل تقاريره إلى مدريد، فقد ورد أنّ في اليوم المشار إليه أعلاه، حرر مقالا متوسط الحجم في خمس فقرات على هيئة النصوص التواصلية، حيث عنونت إيفي نصها الاخباري عن الأوضاع في الجزائر بـ "**الأحداث ما بين الأوروبيين والوطنيين الجزائريين لها أهمية خطيرة- Los sucesos entre europeos y nacionalistas argelinos tienen grave importancia**" (23 de mayo de 1945, pág. 7)، وهنا نلاحظ الاعتراف الضمني من طرف محرر هذا المقال والنظام الفرانكوي ككل بالواقع الاستعماري في بلادنا وذلك من خلال إشارته إلى وجود أوروبيين ووطنيين جزائريين.

نص إيفي الوارد من مدينة الجزائر قبل يوم من نشره في صحيفة أ ب ث بعدديها الصادرين في كل من العاصمة مدريد وفي مدينة إشبيلية، لم يشمل إلا زيادة طفيفة في نسخة عاصمة إقليم الأندلس، إذ أكدتا الطبعتين على استمرار الأعمال الدموية في الجزائر، حيث أشارتا إلى كل من "**بلاد القبائل، سطيف، البليدة وقالمة**"، بين الوطنيين الجزائريين والأوروبيين، كما ذكرت عدد الضحايا الذين حددتهم بـ "**ثلاثة ألاف قتيل**" في صفوف المستوطنين، وعشرة ألاف قتيل في صفوف الجزائريين الذين وصفتهم بـ "**الأهالي-Indígenas**" (23 de mayo de 1945)، وبعد التضخيم في عدد ضحايا المعمرين أبرز الصحفي السبب الرئيسي لكل تلك "**الاضطرابات**" حسب وصفه، إذ أكد على أمر واقعي وهو "**رغبة العناصر الوطنية الجزائرية في التحرر**"، وكذا الأوضاع المزرية التي يعيشها الجزائريون جراء حالة المجاعة المنتشرة في صفوفهم، وكذا الرغبة في الانتفاضة التي يغذيها نمو تأثير العناصر اليهودية، إضافة إلى الحملة التخريبية التي تدفعهم لمواجهة المعمرين الأوروبيين. حيث جاء نصا في الصحيفة على النحو الآتي: "**يبدو أنّ الدافع الأساسي لكل تلك الاضطرابات هو رغبة العناصر الوطنية الجزائرية في التحرر، وحالة الجوع التي يعيشها الأهالي وروح الانتفاضة ضد تنامي تأثير العناصر اليهودية، هي كلها عوامل دفعت الجزائريين لمواجهة المستوطنين الأوروبيين**" (23 de mayo de 1945).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بعد ذلك اهتم الصحفي الاسباني بالوسائل التي استعملت للقضاء على ما سماه بالاضطرابات، إذ وظفت السلطات الاستعمارية كل إمكانياتها العسكرية، من القوات البحرية والجوية والبرية، لارتكاب تلك المجازر، فقد قصفت البحرية الفرنسية سواحل بجاية، في الوقت الذي قنبلت فيه الطائرات أقاليم قالمة وسطيف، أما اللفيف الرابض في نواحي سيدي بلعباس فقد تم تحويله إلى "**مناطق الصراع**" في مقاطعة قسنطينة التي ظلت منقطعة عن أي اتصال (23 de mayo de 1945, p. 8).

هذه المعطيات التي دونها مراسل وكالة إيفي ونشرتها كل الصحف الاسبانية، تبرز لنا الجيش العرمرم الذي حشدته فرنسا للانتقام من الجزائريين الأبرياء الذين خرجوا في مظاهرات سلمية مطالبين إياها الوفاء بوعودها التي قطعتها عليهم، ويظهر ذلك في وصفه للمسيرة التي عرفتها مدينة سطيف، إذ أشار إلى حمل الجزائريين للافتات دوّنت عليها شعارات وطنية، وقد وصفها بـ "**الانفصالية**" ثم تتبع تطور الأحداث في جمل مقتضبة مؤكدا العملية القمعية التي تبعت المظاهرات (23 de mayo de 1945, p. 8).

مع ذلك، فالمقال الصادر من مراسل الجريدة (الطبعة المدريدية) من باريس، المنشور كذلك يوم 23 ماي، سيظل أهم ما حملته أ ب ث في تغطيتها للأحداث لعدة اعتبارات، أولها يتمثل في الأهمية التي أولتها الصحيفة لما يجري في الجزائر من أحداث وتطورات، إذ جاء الكتاب تحت عنوان: " **ABC en Paris, el problema argelino** – أي، **أ ب ث في باريس، المشكل الجزائري**" (23 de mayo de 1945, p. 12)[7]، أما في بدايته فقد أشار إلى التناقض الذي وقعت فيه الأطراف الفرنسية في الميتروبول بخصوص "أحداث الجزائر"، فوزارة الداخلية الفرنسية أعلنت عن عودة الأمن وفرض النظام، في الوقت الذي واصلت فيه بعض الصحف الفرنسية نشر أخبار عن استمرار العملية القمعية الانتقامية وسقوط مائة قتيل حسب ما أعلنته السلطات، إلا إنّ هذا الرقم بعيد عن الحقيقة (23 de mayo de 1945, p. 12).

أما أسباب الأحداث فقد حددها صاحب المقال في ثلاثة أسباب رئيسية عميقة، وتعود إلى زمن بعيد، فإن ذكّر بالواقع الاجتماعي والاقتصادي السيء للجزائريين مثلما ذكرته الأعداد السابقة لنفس الجريدة –أشارنا إلى ذلك أعلاه– فإنّ المراسل الصحفي من باريس أصرّ على اعتبار الأوضاع المزرية التي عاشها الجزائريون قد كانت سببا رئيسيا في تلك الأحداث. إذ كتب: "**من المؤكد في كل الحالات، أنّه ما بين رواية وأخرى عن أحداث سطيف وقالمة، فإن المشكل الاجتماعي والسياسي ظل قائما، وهي حالة تعود أسبابها العميقة إلى زمن بعيد**" (23 de mayo de 1945, p. 12).

السبب الثاني حدده الصحافي في المجال السياسي، ووصفه بالأخلاقي أيضا "otro problema de carácter político y moral" مشيرا إلى انشقاق الطبقة السياسية الفرنسية بين مؤيد ومعارض للإصلاحات التي استهدفت تحسين أوضاع الجزائريين، وكذا انتقاد السياسيين الفرنسيين الكبار لبعضهم البعض، وأخيرا دخول جيش الحلفاء إلى الجزائر... ثم قال: "**فكل ذلك أدى إلى ضياع مجد فرنسا بصفة حتمية**" (23 de mayo de 1945, p. 12).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

السبب الثالث عسكري، مرتبط بمشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الثانية، وبعيدا عن الصيغة التقليدية التي يحلل بها هذا العامل الذي كان من دوافع انتفاضة الثامن ماي 1945 بمدن وأرياف الجزائر، فإنّ الصحيفة ذكرت: "**ومن جهة أخرى، فإنّ الأهالي الذين شاركوا بطريقة جد فعالة في الحرب مع دفعهم لكلفة باهضة فقد أصبحوا يشكلون الأغلبية في جيش الجنرال لوكليرك (Gal Leclerc)... لهم اليوم طموحات كبيرة...**" (23 de mayo de 1945, p. 12) بعيدة عما كانوا يأملون فيه قبل خمس سنوات، أي الاندماج التدريجي في المواطنة الفرنسية كما نص عليه مشروع بلوم فيوليت، الشيء الذي عادت الحكومة الفرنسية لدراسته بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنّ تلك السياسة قد تجاوزها الجزائريون، الأمر جعل الأديب ألبير كامو يكتب في صحيفة كومبا (Combat) معبرا عن ذلك الرفض الجزائري للاندماج قائلا: "**يرفضون ذلك بعدائية أو بتجاهل**" (Camus, 13 mai 1945, p. 1)، ثم يضيف في مقال "**الأزمة في الجزائر**" الصادر في 12 ماي 1945، والذي حمل بدوره فقرة تحت عنوان "**اليقظة السياسية للمسلمين**"، معبرا عن الشعب الجزائري قائلا: "...**في المجال السياسي، أريد أن أذكّر أيضا بأنّ الشعب العربي موجود. أريد أن أقول من خلال ذلك، بأنّه ليس تلك الجماهير المجهولة والبائسة، حيثما الغربي لا يرى فيها وجها للاحترام أو يستحق الدفاع. بل بالعكس، إنه شعب ذو تقاليد عريقة...**" (Camus, 13 mai 1945, p. 1).

بعد هذا العرض التحليلي لأسباب التحول في المطالب الوطنية للجزائريين، عاد صاحب المقال إلى الظروف التي ظهر فيها البيان الجزائري في فيفري 1943، كما قدّم لمحة مقتضبة عن قائده فرحات عباس، ثم حدد مطالب البيان مشيرا إلى تجنب محرره الحديث عن الانفصال التام للجزائر عن فرنسا، إذ أشار إلى إدراك عباس للرفض المسبق الذي ستواجهه به السلطات الاستعمارية، وفي الختام خلص مراسل وكالة ايفي إلى تشخيص المشكل الجزائري في الدوائر الفرنسية لذلك الظرف، فمن جهة هناك وجهة نظر حكومية مبنية على الحفاظ على الأمن، ومن الجانب المقابل وجهة نظر يسارية التي تسعى إلى استغلال معاناة السكان، وكل واحدة من وجهتي النظر تلك، ترتكز على قوة توجيهية كبيرة للإنسانية: الخوف، الذي يعد العامل الأقصى لفرض الأمن، والمجاعة التي تشكل أكبر قوة ثورية، والتلاعب بكلا القوتين يؤدي إلى نفس الخطر (23 de mayo de 1945, p. 12).

الصحافي كاتب المقال ركز في الخاتمة على الطرف الفرنسي وكيف تعاملت مختلف وجهات النظر الفرنسية مع الواقع الجزائري، وحتى إن لمّح إلى خطر فرض الأمن بالقوة أو استغلال الأوضاع الاجتماعية الصعبة للشعوب من أجل ضمان السيطرة عليها، فإنّه لم يشر صراحة إلى دور العنصر الجزائري في تحديد وجهات النظر تلك. مع ذلك فالكاتب وظف كثيرا معارفه حول الأوضاع الاجتماعية السيئة لإسبانيا وكذا رغبة كل طرف من الجناحين المتصارعين (الجمهوريين والوطنيين) في فرض النظام بالقوة قبل 1936، وبذلك، كان للمجاعة والخوف أثرا كبيرا في اندلاع حرب أهلية مدمرة في إسبانيا.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إنّ الصحف الاسبانية ليوم 23 ماي 1945، أجمعت كلها على محتوى واحد فيما يخص المجازر التي وقعت بالجزائر، سواء كان ذلك في الصحف المحلية أو الوطنية، اليومية منها والأسبوعية، والسبب يعود إلى حصولها على نفس البيان الخبري الصادر عن وكالة الاعلام الاسبانية (إيفي)، ومن أمثلة ذلك نجد صحيفة لابرينسا (La Prensa) الصادرة ببرشلونة، وهي جريدة مسائية، قد أصدرت الخبر تحت عنوان "**أحداث خطيرة في الجزائر – البحرية وسلاح الجو الفرنسيين يقنبلان قرى الأهالي**"، أما يومية كوريو دي مايوركا (Correo de Mallorca) وهي يومية كاثوليكية، قد عنونت الخبر الذي حصلت عليه من إيفي، بـ "**في الجزائر تطورت أحداث دموية جديدة بين الأوروبيين ووطنيين جزائريين**"، في الوقت الذي أشارت إلى الأحداث صحيفة ليبيرطاد(Libertad) التابعة للحركة النقابية، تحت عنوان "**مشادات دموية بين الأوروبيين والوطنيين الجزائريين**".

4.المجازر في الصحافة الدولية وأثر ذلك في إسبانيا

خلال جوان وجويلية 1945، عادت التغطية الدولية إلى المجازر التي وقعت في الجزائر، فاهتمت الصحف الاسبانية وتتبعت تلك المنشورات ونقلت الأخبار للرأي العام الاسباني، ونظرا للكم الهائل من المقالات التي نشرت بخصوص هذه الفكرة، ارتأينا التوقف أمام ما نشر في ثلاث صحف كالآتي:

في يوم 13 جوان 1945، نشرت جريدة نويبا ريوخا (Nueva Rioja) خبرا توضيحيا في لغته ومضمونه، إذ جاء العنوان "**اضطرابات الجزائر وتونس تميزت بخطورة كبيرة خلافا للمتوقع**"، وقد بدأت المقال بالإشارة إلى أحداث سوريا ولبنان نقلا لما أذاعته راديو باريس، في إشارة إلى الطريقة التي تنسحب فيها فرنسا من الشرق بلاد الشام، وما أثارته الصحيفة هو الاهتمام العالمي بما يجري هناك وضعف التغطية لما وقع في الجزائر (13 de Junio de 1945).

أما صحيفتي لا في (La Fe) الفلانخية، وأديلانتادو دي سيغوفيا(Adelantado de Segovia)، الصادرتين يوم 13 جوان أيضا، فقد اهتمتا بالخبر الذي أوردته صحيفة لاناثيون(La Nacion)، الصادرة بعاصمة الأرجنتين، بوينوس أيريس،التي بدورها نقلت الخبر من اعلاميين أمريكيين تابعين لصحيفة نيويورك تايمز، وحسب الأخبار المسربة من باريس، أي من فرنسيين انفسهم، فإن صحيفة لافي وجريدة أديلانتادو دي سيغوفيا أشارتا إلى خطورة الأحداث مقارنة بما وقع في سوريا ولبنان، وقد ورد في الخبر الذي نشرته أديلانتادو أنّ: " ...**الفرنسيون يزعمون أنه هناك ألف قتيل في سطيف، حينما حاول الجزائريون القيام بمظاهرة وطنية، لكن الملاحظين يشيرون إلى أن هناك أربعة آلاف قتيل، وقد تم تسجيل تدمير قرى بأكملها وتوقيف الزعماء الوطنيين**..."(13 de junio de 1945) .

أما صحيفة دياريو دي صوريا (Diario de Soria)، الصادرة في 7 جويلية 1945، فقد اهتمت بما نشرته صحيفة دايلي تيليغراف البريطانية، معنونة مقالها بـ "**ازدياد اضطراب الوضع في الجزائر وتونس والمشرق يهدد باندلاع نزاع**"، ثم أشارت إلى عدد ضحايا مجازر الثامن ماي 1945 بالجزائر، وحدد العدد نقلا عن دايلي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تيليغراف بـ 49 قتيل أوروبي وسقوط 1500 ضحية في صفوف المسلمين، مع تحميل حركة أحباب البيان والحرية مسؤولية الأحداث وتوقيف فرحات عباس(7 de julio de 1945) .

خاتمة

نستنتج من خلال هذه الدراسة أن الصحافة الإسبانية بجميع اتجاهاتها ومناطق صدورها قد اهتمت بما وقع في الجزائر من مجازر خلال ماي 1945، حيث تتبعت تغطية الأحداث بناء على ما نشرته وسائل الإعلام الفرنسية في البداية، ثم وفق ما يصل الصحف من بيانات إخبارية صادرة بالأساس عن وكالة الأخبار الاسبانية، التي أوفدت مراسلا إلى الجزائر للوقوف على الأحداث.

إنّ الصحافة الاسبانية استعملت في تغطيتها للأحداث مصطلحات نقلت عن وسائل الاعلام الفرنسية في البداية، ووصفت ما وقع بناء على ما نقلته من الصحف الفرنسية على رأسها جريدة لومانيتي الشيوعية، كما اعتمدت وصف الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر باستعمالها لمصطلح "**الأعمال الاجرامية**"، لكن في مرحلة ثانية أوفدت وكالة ايفي مراسلا لها إلى مدينة الجزائر فحصل فهم أعمق للمجازر والواقع الاستعماري المر ككل، والتأكيد على وجود وعي وطني تحرري لدى الجزائريين فوصفتهم بمصطلح "**الوطنيين الجزائريين**"، "**العناصر الوطنية الجزائرية**"، "**التحرر**"، وهذا الأمر يبرز الاختلاف الكبير في الرؤى بين الصحافة الاستعمارية الفرنسية والصحافة الاسبانية.

سعت صحافة اسبانيا إلى كشف القمع الذي يمارسه الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس وحتى بلاد الشام، والحديث عن تلك الممارسات الاستعمارية الفرنسية من خلال ما نشرته صحف أجنبية أخرى، وتحديد العوامل الكثيرة، القريبة منها والبعيدة، التي تحكمت في موقف فرنسا وسياستها القمعية للمسيرات السلمية التي تحولت إلى المجازر.

من خلال القراءة المتأنية ندرك تأثير الخلافات في العلاقات بين اسبانيا بقيادة الجنرال فرانكو، وفرنسا منذ سنة 1936، في توجيه الصحافة الاسبانية للرد على الاعلام الفرنسي الموجه ضد نظام مدريد، خصوصا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، بفتح فرنسا لأراضيها أمام اللاجئين الجمهوريين الاسبان الذين استمروا في تجسيد معارضتهم الإعلامية والسياسية للنظام الفرانكوي، فتأزمت طبيعة العلاقات الاسبانية الفرنسية حيث وصل الأمر إلى حد القطيعة بين البلدين وغلق الحدود ما بين 1946-1948.

التعليقات والشروحات

1 – ولد **فرانثيسكو فرنكو باهاموندي** يوم 4 ديسمبر من سنة 1892، في مدينة فيرول على الساحل الشمالي الغربي لإسبانيا، بمقاطعة غاليسيا، وتوفي في 20 نوفمبر 1975 بمدريد، وحكم اسبانيا لمدة قاربت أربعين سنة.

2 – **الفرانكوية:** نظام سياسي استبدادي مثل نظام أوليفيرا سالازار في البرتغال حسب ما ذكر في كتاب "**التاريخ العام لإسبانيا وأمريكا، عهد فرانكو**" الذي ألفه مجموعة من المؤرخين، لأنّ هذا النظام بني تطبيقيا على تنظيم الحزب الواحد الذي مثله "**الحركة الوطنية El movimiento Nacional**"، المتميز بالهيكلة الجيدة وخضوع مناضليه للانضباط التام الذي تتحكم فيه اديولوجية شاملة تراقبها الفلانخية

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والخونس(La Falange y JONS) وبدرجة أقل المجموعة الكاثوليكية والكارليين. الانخراط في هذا الحزب يعد أمرا إجباريا، في حين السلطات ارتكزت في يد الجنرال فرانكو.

3 – **الجنرال:** الذي يشرف على أمور الدولة العسكرية في الحرب والسلم، وهو المسؤول عن كل جنرالات الجيش.

4 – **سيرانو سونيير:** (1901–2003) صهر الجنرال فرانكو، عين وزيرا للداخلية في بداية سنة 1938، ثم وزيرا للخارجية سنة 1940 مكلف بالتفاوض مع موسوليني وهتلر وامكانية دخول إسبانيا الحرب إلى جانب المحور.

5– **إيفي:** وكالة الأخبار الإسبانية، تأسست في 03 جانفي 1939 بمدينة بورغوس (Burgos) من طرف رامون سيرانو سونيير (Ramon Serrano Suñer ومانويل أثنار ثوبيغاري (Manuel Aznar Zubigary).

6– **جريدة لومانيتي:** (L'humanité) الفرنسية تأسست في 18 أفريل 1904، واستمرت على النهج الاشتراكي إلى غاية 1921، لتتبنى النهج الشيوعي.

البيبليوغرافيا

المؤلفات

- Bennassar, B. (2002). **Franco**. Paris: Perrin.
- Gallego, J. A. (1991). **Historia de España y America, la epoca de Franco**. Madrid: Rialps.
- Garrido, S. J. (1989**). La censura de prensa durante el franquismo 1936-1951**. Madrid: España Clape.

المقالات

- Arnaud, I. (1985, 3). **Ramon Serrano Suñer. Espagne 1931-1945**. Politique étrangère, pp. 781-783.
- Ruscio, A. (2007, juin**). Les communistes et les massacres de constantinois mai juin 1945**. Vingtième siecle; Revue d'histoire N94, p. 222.

الجرائد

باللغة الإسبانية

Boletin Oficial de Estado. (1938, abril 24). Numero 550. Madrid, España.
(13 de mayo de 1945). ABC, 7.
(23 de mayo de 1945). ABC.
Los sucesos entre europeos y nacionalistas argelinos tienen grave importancia. (1945). ABC.
(13 de junio de 1945). Adelantado de Segovia.
(13 de Junio de 1945). Nueva Rioja.
(7 de julio de 1945). Diario de Soria.

باللغة الفرنسية

Camus, A. (13 mai 1945). Combat, 1.

مواقع الانترنيت

(2017, avril 26). Récupéré sur http://www.humanite.fr/le-18-avril-1904-naissance-de-lhumanite-6119661

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)